

## البداء والعلم الإلهي المطلق

الباحث: علي جاسم حمد

أ. م. د بركاوي جليب دارم

جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية

### الملخص

البداء عقيدة إسلامية أقرت بها جميع الفرق، إذ لا خلاف في الجواهر إنما الخلاف في المظاهر تتعلق بنوعية الأعمال الصالحة والطالحة وأثرها في تغيير أقدار العباد، فهي نسخ في المجال التكويني كالإفطار بعد الإغناء، والإماتة بعد الإحياء، والأمراض بعد الإعفاء، تكشف عن القدرة المطلقة لله تعالى وسلطته على إبدال تقدير العباد بحكمة مع مدخلية للسلوك الإنساني بذلك فهو من يهيء لنفسه منافذ تغيير قدره مع علمه سبحانه وتعالى بكل التقديرين في أم الكتاب، وينجم عن هذا المعتقد آثار تربوية ونفسية تساعد على إصلاح الفرد والمجتمع، فليس لهذا المبدأ صلة بتجدد علم الله تعالى أو ظهور ما كان مخفياً عنه والعياذ بالله كما يصوره ويلصقه بعضهم على الشيعة الإمامية كذباً وإفتراءً، إذ أخذ البداء طابع الإفتراء واستعمل أداة للتقريع والتشنيع دون دراية وروية.



---

## Abstract

Al-Bidaa (knowledge after ignorance) is an Islamic doctrine approved by all Islamic bands as there is no difference in substances but in appearances. It is related to the type of the good and bad deeds and their effect on changing the slaves' fate. It is a copy in the in the formative field like poverty after richness, death after life, and sickness after health which reveal Allah's ultimate ability and power to change the slaves' fate wisely with an introduction to human behavior as he prepare for himself the reasons of changing his fate as he, Almighty, knows both fates in Um Al-Kitab. This belief has Psychological and educational effects that help to reform the individual and the society. This principle has nothing to do with renewing Allah's knowledge or the appearance of what was hidden (Allah forbid) as it is visualized and attached by some to the Al-Shia, the Imamate which is a lie and fabrication. As Al-Bidaa (knowledge after ignorance) has the characteristic of fabrication and used as a tool for disfiguring and insulting without familiarity or knowledge.

## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد ﷺ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين "عليهم السلام" و صحبه المنتجبين "رضي الله عنهم"

أما بعد

في زمن حرية الفكر والعمل وإنطلاقاً من طريقة القرآن "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [الإسراء : ٣٦]" ندعوا كل من "كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [ق : ٣٧]" الى التريث في أحكامه والتأني في تصريحاته والتثبت في قراراته وإنصاف مخالفه مهما كان حجم المهاترات وحدة التوتر، فمن ينعت نفسه بالتحقيق ويدعي التدقيق وينسب لنفسه الفحص والتمحيص عليه أن لا يسمح بتدفق شبهات لقلمه و جريان أراجيف وسفاسف ليس فيها من الحق شيء، إذ يتوجب عليه الإتصال بالمتهم والإستفهام منه لاسيما إذا كان المدان متاح ومتيسر ويمتلك مكتبة عامرة زاخرة بفكره تعنى بنشر مبادئه وتدعو الى نزال فكري مرن بمنتهى الموضوعية والنزاهة بالركون الى العقل والنقل، فقد ظلّ حشد كبير (الشيعة الإمامية) من قبل إخوانهم المسلمين الذين شددوا على إدانتهم ولقروا طويلة بما هم منه براء، مما كان له دور كبير في تقبيح ملامح التشيع في عيون البسطاء والسذج من الأمة، لذا وقع اختياري على مناقشة هذا الموضوع والتعرف عن كتب على موقف الشيعة الإمامية من فكرة البداء وأبعادها من أفواه أساطين علمائهم وأمهات كتبهم لينقش الظلام لمن رام الوثام، وينكشف المراد لمن ابتغى الرشاد، وبشأن منهجية البحث فقد قسمته الى مبحثين الأول كان ميداناً للتعرف على مصطلح البداء من الناحية اللغوية والإصطلاحية، وطبيعة هذه العقيدة ومغزاها من منظار الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) والشيعة الإمامية، أما الثاني فكان محوراً للفت النظر الى سوء الفهم وافتقاد الدقة في النقل وافتقار التصويب في الطرح الذي وقع فيه مفسرنا وبعض الخلق إزاء رأي الإمامية بصدد البداء والتجني عليهم بما لا يدين به

مسلم ! ، وبخصوص منهج البحث فقد سلكت منهج ثلاثي الأبعاد تنوع بين الوصفي والتحليلي والمقارن وما استدعى ذلك نوعية المجال الذي نتعامل معه إذ صُنِف بأنه أحد الموضوعات الدقيقة التي عصف بها الالتباس فلا يحقق غايته بالإعتماد على منهج واحد

وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت فيما عزمت عليه من عمل خالص لوجهه الكريم "لِيَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)" [الشعراء : ٨٨ - ٨٩]

### المبحث الاول: حدود البداء وعلم الله بمرأى الرازي والامامية

من المسائل التي دينت بها الإمامية وكانت موضع إبتلاء وسوء فهم من قبل الفرق الأخرى التي لم توفق بمعرفة مرام الإمامية منها بشكل سليم وحسب ما أقره أساطينهم إذ شُئِعَ عليهم (١) ، ووصّموا بأنهم أكثر إنحرافاً من اليهود والنصارى لأن أولئك أنكروا النسخ والإمامية أثبتوا الجهل على الله تعالى بالقول بالبداء (٢) وما ذلك إلا الجهل بعينه كما سيتضح

**فالبداء لغة :** بدا الشيء يبدو بدأً إذا ظهر فيكون البداء بمعنى الظهور (٣) "وبدا لي بداء أي تغير رأيي على ما كان عليه ... وبدا له في الأمر بداء ممدودة أي نشأ له فيه رأي" (٤) ، "والبداء استصواب شيء علم بعد إن لم يعلم" (٥) ، فالواضح أن البداء بهذا المعنى محال أن ينسب لله تعالى لإستلزامه الجهل فلا تنصره الإمامية ولا تعترف به (٦) كيف لا وأنه لا ينسجم مع النقل الصريح قال تعالى " {...} عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [سبأ : ٣] " وعن الإمام الباقر "عليه السلام" : "... ولم يزل الله عالماً بما كوّن فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد ما كوّنه" (٧)

أما في الإصطلاح : فهو تغيير مصير العبد المقدّر حسب العمل الصالح او الطالح (٨) ، بمعنى آخر هو نسخ تكويني على صعيد الرزق والإحياء والإماتة والمرض والصحة وطول العمر وغيرها من

متغيرات الأحوال تبعاً لنوعية العمل الصادر والأثر المترتب عليه و هو الحال بالنسبة للنسخ التشريعي ففعل الانسان هو الذي يؤثر في تغيير مسار قدره<sup>١٠</sup> ،قال تعالى : " {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... (١١)} [الرعد : ١١] ، "، فحقيقة البدء تنطلق من أصلين قدرة الله سبحانه وسلطته على تغيير التقدير وإبداله بأخر متى ما شاء مع علمه بكل التقديرين في أم الكتاب علماً أن التغيير يكون مبنياً على حكمة ويكون معتمداً على سلوك وعمل الانسان إذ هو من يهتدي لنفسه ارضية تغيير تقديره<sup>(١٠)</sup> ومثاله رفع العذاب النازل على قوم يونس بفضل الدعاء لله "عز وجل" قال تعالى: " {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخُرِّي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨)} [يونس : ٩٨] ، " أو أثر الدعاء من قبل الإنسان كما قال الإمام الكاظم "عليه السلام": " عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب الى الله عز وجل يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق إلا إمضاهه فإذا دعي الله عز وجل وسئل صرف البلاء صرفه<sup>(١١)</sup> ، أو إطالة العمر لصلة الرحم فعن امير المؤمنين "عليه السلام" " ... وصلة الرحم فإنها مثرة في المال ومنسأة في الاجل ...<sup>(١٢)</sup> ، فتغيير الإنسان لعمله ينتج عنه تغيير مصيره فيكون مشمولاً بقوله تعالى : " لِيَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)} [الرعد : ٣٩]" وبموجب الآية لا بد من الإشارة أن تكوين حوادث العالم تمر بمرحلتين الاولى قطعية لا تحتمل التغيير المشار اليها بأمر الكتاب والآخرى متغيرة مشروطة المعبر عنها بالمحو والاثبات<sup>(١٣)</sup>، فقد حصر الرازي مراد الآية بقولين وفرع من الثاني وجوهاً أغلبها ما أكّدت عليها متون وروايات مدرسة أهل البيت "عليهم السلام"

"القول الأول: \_ أنها عامة فالله يحق الأرزاق ويزيد وينسيء في الأجل ويقدم وكذا الحال في الشقاوة والسعادة والإيمان والكفر وهو مذهب عمر وأبن مسعود<sup>(١٤)</sup> فعن ابن مسعود كان يقول : " اللهم إن كنت كتبتني من الأشقياء فامحني من الأشقياء وأثبتني في السعداء فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب " وقد روي مثل ذلك من أئمة أهل البيت "عليهم السلام" بأدعيتهم المأثورة<sup>(١٥)</sup> ، أما القول الثاني : أن الآية خاصة ببعض الأشقياء وفي هذا التقرير يفرع وجوهاً (في المحو والاثبات ) منها "

أنه في الأرزاق والمحن والمصائب يثبتها في الكتاب ثم يزيلها بالدعاء والصدقة وفيه حثٌ على الإنقطاع الى الله تعالى " (١٦) ، فالآيات والروايات بهذا المجال كثيرة قال تعالى : " لَوْلُو أَنْ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) { [الأعراف : ٩٦] " ، وعن الإمام علي " عليه السلام " : " سألت رسول الله (ﷺ) عن تفسير " يحو الله ما يشاء ... قال (ﷺ) : " لأقرن عينيك بتفسيرها ولأقرن عين أمي بعدي بتفسيرها الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين واصطناع المعروف يُحوّل الشقاء سعادة ويزيد في العمر ويقي مصارع السوء " (١٧) ، وعن الإمام الباقر " عليه السلام " : " صلة الأرحام تزكي الأعمال وتتمّي الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسئ في الأجل " ، فهذا الفهم لم يكن خاصاً بابن الخطيب والإمامية بل إنه حقيقة إسلامية يقرها أشهر المفسرين فقد وصّح القرطبي " ت ٦٧١هـ " أن المحو والإثبات في قوله تعالى " لِيَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) { [الرعد : ٣٩] ، عام فهو يحو السعادة والشقاوة والأجل ويثبتها (١٨) مستعيناً بما ورد عن ابي هريرة عنه (ﷺ) : " من سرّه أن يبسط له رزقه وينسأ له أثره فليصل رحمه " (١٩) ، ويصرّح ابن كثير " ت ٧٧٤هـ " بصدد الآية ذاتها : " إن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الأمام أحمد ... قال رسول الله (ﷺ) : " إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر إلّا الدعاء ولا يزيد في العمر إلّا البر " (٢٠) ، فالبداء لدى الإمامية لا يتعدى حدود ماصرّح به أعلامهم بالإستناد لمنهلم الأم نور آثار العترة المباركة وفي هذا المجال سنورد مقتطفات من متون مؤلفاتهم المعتمدة

يقول الشيخ الصدوق " ت ٣٨١هـ " : " إنما البداء الذي نسب الى الإمامية القول به هو ظهور أمره يقول العرب بدا لي شخص أي ظهر لي لا بدا ندامة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً " (٢١)

أما الشيخ المفيد " ت ٤١٣هـ " فيورد : " وأقول : في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفطار بعد الإغناء والأمراض بعد الإعفاء والإماتة بعد الإحياء وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الأجل والأرزاق والنقصان منها بالأعمال ... " (٢٢)

وبهذا المعنى يخرج الشريف المرتضى " ت٤٣٦هـ" يقول : " البداء فقول هشام وأكثر الشَّيعة هو قول المعتزلة بعينه في النسخ " (٢٣) وفي توضيح معنى البداء لدى مفكري الإمامية يقول الطوسي "ت٤٦٠هـ" : " البداء حقيقة في اللغة هو الظهور وقد يستعمل ذلك بالشيء بعد أن لم يكن حاصلًا وكذلك في الظن وأما إذا إضيفت هذه اللفظة الى الله تعالى فممنه ما يجوز إطلاقه ومنه ما لا يجوز فأما ما يجوز من ذلك فهو ما أفاد النسخ بعينه ويكون إطلاق ذلك عليه على ضربٍ من التوسع وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصادقين (عليهم السلام) من الأخبار المتضمنه لإضافة البداء الى الله تعالى دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد إن لم يكن ... فيظهر به للمكلفين مالم يكن ظاهراً لهم ويحصل لهم العلم بعد أن لم يكن حاصلًا لهم " (٢٤) ، وهناك تصريح أخير نوره بشأن البداء عند الشَّيعة يغلط جميع منافذ الشكوك والشبهات صدر من الأعلام المتأخرين "الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء" "ت١٣٧٣هـ" يقول : " أما البداء الذي تقول به الشيعة والذي هو من أسرار آل محمد (عليهم السلام) وغامض علومهم ... فهو عبارة عن إظهار الله جل شأنه أمراً يرسم في ألواح المحو والإثبات وربّما يطَّلَع عليه بعض الملائكة المقربين أو أحد الأنبياء والمرسلين فيخبر الملك به النبي والنبي يخبر به أمته ثم يقع بعد ذلك خلافه ... وكل ذلك كان جلت عظمته يعلمه حق العلم ولكن في علمه المخزون المصون الذي لم يطَّلَع عليه لا ملك مقرَّب ولا نبي مرسل ... ولا يتوهم .. أن هذا الإخفاء والإبداء من قبيل الإغراء والجهل ... وبالجملة فالبداء في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع" (٢٥) ، إذاً فالبداء لدى الشَّيعة ليس له صلة بتجدد علم الله أو ظهور ما كان مخفياً عليه وهذا ما يفهم من كلام الإمام الصادق "عليه السلام": " من زعم أن الله (عز وجل) يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فأبرأوا منه" (٢٦) وعنه "عليه السلام" " أيضاً : " من زعم أن الله بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم" (٢٧) ، فالله تعالى : " {... لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)} {سبأ : ٣}" ، وعلى الجملة فإن البداء بالمعنى الذي تقول به الشيعة الإمامية هو من الإبداء "الإظهار" حقيقة وإطلاق لفظ عليه مبني على التنزيل والإطلاق بعلاقة المشاكلة ... وقد وقع نظير ذلك في كثير من الاستعمالات القرآنية

كقوله تعالى: " {الآن حَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْفًا ... (٦٦)} {الأنفال : ٦٦}، وقوله تعالى: " {ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا (١٢)} {الكهف : ١٢}..."<sup>(٢٨)</sup> ، وبخصوص علم الله تعالى فقد ذهب جمهور الأمة ونخص بالذكر الرازي والإمامية استناداً الى مؤشرات عقلية ونقلية أن الله تعالى يعلم بالأمر كلياً وجزئياً الغائبات والحاضرات<sup>(٢٩)</sup> فهو سبحانه عالم بكل معلوم<sup>(٣٠)</sup> وأنه، " {... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)} {الأنعام : ١٠١} " ، " {... وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)} {الطلاق : ١٢} "

ففي معرض تأكيد الرازي على علم الله المطلق بالجزئيات والكليات يقول: " {... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)} {البقرة : ٢٩} " ، يدل على إنه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون خالفاً للأرض وما فيها وللسماوات وما فيها من العجائب والغرائب إلا إذا كان عالماً بها محيطاً بجزئياتها وكلياتها وذلك يدل على أمور أحدها فساد قول الفلاسفة الذين قالوا إنه لا يعلم الجزئيات وصحة قول المتكلمين وذلك لأن المتكلمين استدلوا على علم الله تعالى بالجزئيات بأن قالوا إن الله تعالى فاعل لهذه الأجسام على سبيل الإحكام والإنقار وكل فاعل على هذا الوجه فإنه لا بد وأن يكون عالماً بما فعله...<sup>(٣١)</sup> ويقول أيضاً: " ... إن الإلهية لا تكتمل إلا إذا كان عالماً بجميع الجزئيات...<sup>(٣٢)</sup> ، ويدعم مفسرنا فكرة علمه تعالى بالكليات والجزئيات<sup>(٣٣)</sup> بقوله تعالى: " {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩)} {النبأ : ٢٩}، وقوله تعالى: " {... وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)} {الطلاق : ١٢} " ، وبهذا الطرح يقف ابن الخطيب بجوار الإمامية إذ هم بدورهم يؤكّدون على الألفية الشاملة للخالق سبحانه وبموجب أفعاله المحكمة المتقنة<sup>(٣٤)</sup> فالله تعالى " عالم بكل ما يكون قبل كونه وأنه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه ولا معلوم وممكن أن يكون معلوماً إلا وهو عالم بحقيقته وأنه سبحانه لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء وبهذا قضت دلائل العقول والكتاب المسطور والأخبار المتواترة عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مذهب جميع الامامية...<sup>(٣٥)</sup> ، ويشير السيوري "ت ٨٢٦هـ" لمطلق علمه سبحانه وتعالى بقوله: " الباري تعالى عالم بكل ما يصح أن يكون معلوماً واجباً كان او ممكناً أو

ممتنعاً قديماً كان أو حادثاً كلياً كان أو جزئياً متناهياً كان أو غير متناه خلافاً لجماعة من الفلاسفة...<sup>(٣٦)</sup> ، وهذه العقيدة نابعة من نفائس أئمتهم "عليهم السلام" ، فعن أبي عبد الله "عليه السلام" : " إن الله علم لا جهل فيه ، حياة لا موت فيه...<sup>(٣٧)</sup> وسئل أبي عبد الله " عليه السلام": " عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عندما خلقه وبعد ما خلقه ؟ فقال : تعالى الله بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كونه وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان " <sup>(٣٨)</sup>

ولمن أراد أن يستزيد من تراث العترة المطهرة بصدد علم الله فليراجع ما وضعه "العلامة محمد بن الحسن الحر العاملي" "ت ١١٠٤هـ" في كتابه القيم "الفصول المهمة في أصول الأئمة" فقد أورد فيه أبواباً خاصة تحفل بروايات أهل البيت "عليهم السلام" بخصوص علم الله وتنزيهه عن الجهل ومن تلك الابواب " إن جميع المعلومات بالنسبة الى علمه سواء " ، " إن الله سبحانه عالم بكل معلوم "<sup>(٣٩)</sup>

وبعد هذا العرض من نداءات رموز الإمامية والرجوع لأمهات كتبهم هل يُصدّق العقل ما يفترى عليهم بقولهم بالبداء المستلزم لجهل الله تعالى عن ذلك ؟ حاشا سائر المسلمين من ذلك .

### المبحث الثاني: هفوة ونقل نافذ من الصواب

مجدداً يقع الفخر بزلةٍ تضاف لقائمة مجانبته للحقيقة وظلمه للتشيع فلأسف الشديد أصبحت الحقيقة بضاعة كاسدة لا يتعاطى معها إلا القليل ولا يقنتها إلا ذو حظٍ عظيم ولا تروّج لها إلا أقلام نادرة يصعب وجودها في زمن اكتظت به أقلام الغي والنفاق

يقول الرازي في معرض تقرير البداء عند الشيعة : " قالت الرافضة البداء جائز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما أعتقده وتمسكوا فيه بقوله : (يمحو الله ما يشاء ويثبت )

وإعلم أن هذا باطل لأن علم الله من لوازم ذاته المخصوصه وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبدل فيه محالاً<sup>(٤٠)</sup>

وعلى شاكلة هذا الهراء يسير بعض المفسرين<sup>(٤١)</sup> وبموجب ما عرضناه سلفاً يتضح أن الرازي لم يحسن الفهم السليم الذي ينادي به الشيعة لا سيما الإمامية وصدق تعالى: "لَيَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا تَعْلَمُ اللَّهُ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)" [الأحزاب : ٧٠] " فلماذا لم يكلف ابن الخطيب نفسه ويتصل بالمتهم ويستفهم منه بدلاً من الإعتماد على شبهة سرت أو شائعة انتشرت ليس فيها من الحق شيء وبخاصة وأن المتهم متاح ومتيسر له كيف لا والرزي مسرح ومترج للشيعة وعلمائها أذاك كما وكان هشام ابن الحكم "ت١٩٩هـ"<sup>(٤٢)</sup> هدفاً لأعداء مدرسة أهل البيت "عليهم السلام" في محاولة منهم إخماد نوره واغتيال فكر الإمامية والنيل منه بوساطته وذلك عبر التلفيق والإفتراء عليه ووصمه بأفكار ضالة ظلاماً وجوراً فقد كُذِّب عليه بقوله بالتجسيم من قبل خصومه<sup>(٤٣)</sup> ، لينحى الفخر هذا الاتجاه ويتهمه بالظن والتناول على علم الله وأن الله تعالى لا يعلم بالجزئيات إلا عند وقوعها من دون أن يعمد لذكر مصدر تلك المزعمة سواء مما كتبه هشام أو مما ألقته الإمامية ليكشف هذا الأسلوب الذي انتهجه مفسرنا عدم تمسكه بالإنصاف في ضرورة نقل الكلام من أفواه قائله

وبذلك الصدد نذكر مقتطفات من اتهامات الفخر لهشام بن الحكم

يقول: "... إن هشام بن الحكم زعم أنه سبحانه لا يعلم الأشياء قبل وقوعها"<sup>(٤٤)</sup>

وأيضاً: "احتج هشام على قوله إن الله تعالى لا يعلم الجزئيات إلا عند وقوعها"<sup>(٤٥)</sup>

و أيضاً: "ذهب هشام بن الحكم إلى أنه سبحانه لا يعلم الحوادث إلا عند دخولها في الوجود"<sup>(٤٦)</sup>،

وفي موضع اخر: "وقال هشام بن الحكم أنه كان في الأزل عالماً بحقائق الأشياء وماهيتها فقط فأما

حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى لا يعلمها إلا عند وقوعها..."<sup>(٤٧)</sup>

وهذه تصريحات واضحة بشأن اتهام وإدانة رؤية هشام لعلم الله تعالى وفي هذا المقام دعماً للحقيقة واجهاضاً للمطاعن الواهية سنورد ما يفند تلك الأقاويل حيث برأه واحد من أبرز ممثلي الفكر الكلامي من ذلك، يصرح الشيخ المفيد<sup>٤٨</sup>هـ "٤١٣هـ" رداً على تلك الإتهامات الموجهة له فبعد أن بيّن إجماع الإمامية على أنه تعالى عالم بحوادث الأمور قبل وبعد إيجادها بدلالة العقل والنقل الصريحين وبعد ذلك يقول: "...ولسنا نعرف ما حكاه المعتزلة عن هشام بن الحكم في خلافه وعندنا أنه تخرص منهم عليه وغلط ممن قلدهم فيه فحكاه الشيعة عنه ولم نجد له كتاباً مصنفاً ولا مجلساً ثابتاً وكلامه في أصول الإمامة ومسائل الامتحان يدل على ضد ما حكاه الخصوم عنه"<sup>(٤٩)</sup>

وفي إطرء قنمه علم أمامي متأخر السيد شرف الدين الموسوي "ت ١٣٧٧هـ"<sup>٥٠</sup> بحق هشام في رفع شأنه وتنزيهه مما رُمي به: ".. رماه بالتجسيم وغيره من الطامات يريدوا إطفاء نور من مشكاته ونحن أعرف الناس بمذهبه وفي أيدينا أحواله وأقواله فلا يجوز أن يخفى علينا من أقواله وهو من سلفنا وفرطنا - مظهر لغيرنا من بعدهم عنه في المشرب والمذهب..."<sup>(٥١)</sup>

وحظي هشام بتوثيق وإشادة ونصاعة الفكر من قبل المعصوم "عليه السلام" ممّا يشهد له بزييف ما وقع عليه من الخصوم يقول الإمام الصادق "عليه السلام" بحقه: "لا تزال يا هشام مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك"<sup>(٥٢)</sup>

وعنه "عليه السلام" أيضاً: "هشام بن الحكم رائد حقنا وسائق قولنا المؤيد لصدقنا والدافع لباطل أعدائنا من تبعه وتبع أمره تبعنا ومن خالفه وألحد فيه فقد عادانا وألحد فينا"<sup>(٥٣)</sup>

في الختام يصل الباحث الى مجموعة من النتائج كان أهمها

١-البداء عقيدة إسلامية عريقة تتعلق بقدرة الله وعلمه على تغيير المجريات والأقدار حسب المقتضيات المتجددة مع علمه المسبق بتبديل المقادير في أم الكتاب، فالبداء لا يعني التجدد في علم الله تعالى أو أنه سبحانه علم بعد جهل أو ظهر له ما كان مخفياً حاشا سائر المسلمين من القول بهذا وقد أجمعت الأمة على فساد ذلك لأنه يستدعي الجهل للذات الإلهية تنزه القدير العليم من ذلك بل علمه بالأمور قبل حدوثها كعلمه بها بعد تكوينها.

٢-لاصحة لما يقال من أن البداء من متفردات الشيعة الإمامية بل هو من معتقدات المسلمين جميعاً إلا أن الاختلاف كان في المظاهر لا الجواهر أي في الألفاظ فقط.

٣-البداء نسخ في المجال التكويني كالإمراض بعد الإعفاء والإماتة بعد الإحياء والشقاوة بعد السعادة وغيرها من متغيرات الأحوال فمن العوامل المؤثرة في تغيير الأقدار نوعية الأعمال الصادرة من العبد فالله تعالى "لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (٥٣)" [الأنفال : ٥٣] ، فما جاء في القرآن من الدعوة الى صلة الرحم وأعمال البر والحث على الصدقة المؤثرة في دفع البلاء وزيادة العمر والرزق هي من مصاديق تحقق البداء وهذا التغيير هو البداء بعينه ليس بأكثر.

٤-إطلاق الشيعة الإمامية على هذا المعتقد بمصطلح البداء مبني على التنزيل ، بغية إيصال الصورة لإكتمال الفهم لدى المتلقي وقد تحقق مثل هذا في كثير من الآيات.

٥-تعرضت الشيعة الإمامية ولقرون طويلة لهجوم لاذع وتشنيع وتقريع مجحف وظالم نتيجة سوء الفهم والخطأ في النقل في ظل مصرع الموضوعية واختفاء النزاهة، فقد زعم بعضهم أنهم ينسبون الجهل لله تعالى تحت مفهوم البداء، ولو تربيثوا بحكمهم وأضافوا زحما من التمحيص والتدقيق وفتشوا



العدد الثالث والثلاثون

تشرين الثاني / ٢٠١٨

مجلة كلية التربية

مصادر الإمامية وتتبعوا أحاديث أهل البيت "عليهم السلام" لأنكشف لهم زيف ما ادعوه، ولأتضح لهم براءة التشيع مما نسب له نسأل الله أن يجعلنا ممن "...يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) {الزمر : ١٨} "

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- (١)-الإبانة عن أصول الديانة: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن ، تحقيق: د.فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ، النشر: دار الأنصار-القاهرة.
- (٢)-الإعتقادات: الشيخ الثقة الجليل الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، النشر: دار الجوادين(عليهما السلام).
- (٣)-الأمر بين الأمرين: مركز الرسالة، إعداد مركز الأبحاث العقائدية، د.ت. د.ط .
- (٤)-الإنسان بين الجبر والتفويض: العلامة المحقق آية الله جعفر سبحاني، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ، مطبعة اعتماد-قم المقدسة، النشر: مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام).
- (٥)-الإنسان بين الجبر والتفويض مدخل لدراسة نظرية الأمر بين الأمرين: السيد كمال الحيدري، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر-بيروت ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م. د.ط .
- (٦)-بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة عليهم السلام : العلامة المجلسي المولى محمد بن باقر بن محمد تقي ، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٤هـ، النشر: مؤسسة الوفاء-بيروت.
- (٧)-تاريخ بغداد: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، المحقق: د. بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، النشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت .
- (٨)-التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الإسفراييني أبو المظفر، المحقق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، النشر: عالم الكتب-بيروت
- (٩)-التفسير الكبير: الإمام العالم العلامة والبحير البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، النشر: دار الكتب العلمية.

- (١٠)- تصحيح إعتقادات الإمامية: الإمام الشيخ محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم ، تحقيق: حسين دركاهي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ، مطبعة مهر-قم المقدسة، النشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد-قم المقدسة
- (١١)- التوحيد: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ، النشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة.
- (١٢)- الرازي مفسراً: د. محسن عبد الحميد، أطروحة دكتوراه في الآداب (التفسير) جامعة القاهرة-كلية الآداب-مصر، لسنة ١٩٧٢م.
- (١٣)- رجال النجاشي: أبو الحسين أحمد بن علي بن أحمد النجاشي، تحقيق: آية الله السيد موسى الشبيري الزنجاني، الطبعة سنة ١٤٠٧هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المعلمين المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة .
- (١٤)- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٩م .
- (١٥)- شرح أصول العقائد: الشيخ عبد الجليل علي الأمير، تقيظ: آية الله الحكيم الإلهي والفقيه الميرزا عبد الله الأحقافي ، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م .
- (١٦)- شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد ، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، حققه وقدم له: د. عبد الكريم عثمان، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، النشر: مكتبة وهبة-القاهرة.
- (١٧)- العدل عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بحث استدلاي شامل ومفصل: علاء الحسن، الطبعة الثانية سنة ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، النشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)
- (١٨)- الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العاملي الشيخ محمد بن الحسن ، المحقق: محمد بن محمد الحسين القائيني، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ، مطبعة نكين بقم المقدسة، النشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا (عليه السلام)-إيران.
- (١٩)- فلسفة الميثاق والولاية: الإمام العلامة السيد شرف الدين الموسوي، تحقيق: علي جلال باقر، إعداد مركز الأبحاث العقائدية .

- (٢٠)-الكافي : ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٦٥هـ، النشر: دار الكتب الإسلامية .
- (٢١)-الكلام المقارن بحوث مقارنة في العقائد الإسلامية: حجة الإسلام والمسلمين علي الرباني الكلبايكاني، د.ت. د.ط .
- (٢٢)-لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية-الهند، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت .
- (٢٣)-المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعات: محمد بن عمر فخر الدين الرازي، د.ت. د.ط .
- (٢٤)-المحصل في علم الإصول: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي، المحقق: د. طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، النشر: مؤسسة الرسالة.
- (٢٥)-المسائل الخمسون في أصول الدين: فخر الدين الرازي محمد بن عمر، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، الطبعة الثانية سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، النشر: دار الجيل للطباعة والنشر-بيروت
- (٢٦)-المطالب العالية من العلم الإلهي: الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، النشر: دار الكتاب العربي-بيروت.
- (٢٧)-الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، النشر: دار المعرفة-بيروت، د.ت. د.ط .
- (٢٨)-المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م.

- (١) ينظر: زبدة الاصول: محمد صادق الروحاني: ٢٣٥/١
- (٢) ينظر: علوم القرآن: محمد باقر الحكيم: ١٩١
- (٣) ينظر: العين للفراهيدي: باب الدال والباء: ٨٣ / ٨ ، تهذيب اللغة: الأزهرى: باب الدال والباء، ١٤٢ / ١٤ ، الصحاح: الجوهري: ٢٢٧٨/٦، مادة (بدا)
- (٤) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: ١ / ٢١٢ مادة (بدا)
- (٥) لسان العرب: ابن منظور: ٦٦/١٤، تاج العروس: الزبيدي: ١٥٤/٣٧ مادة (بدو)
- (٦) ينظر: عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر: ٥٩
- (٧) بحار الانوار: المجلسي: كتاب التوحيد أبواب الصفات الباب (٢) رقم الحديث (٢٣): ٨٦/٤
- (٨) ينظر: رسائل و مقالات: جعفر السبحاني: ١٦٣/١
- (٩) ينظر: مفهوم البداء في الفكر الإسلامي: السيد هاشم الموسوي: ٩
- (١٠) ينظر: العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة اهل البيت (عليهم السلام): جعفر السبحاني: ٢٠٩-٢١٠
- (١١) الكافي: الكليني: ، كتاب الدعاء، باب إن الدعاء شفاء من كل داء رقم الحديث (٨): ٤٧٠/٢
- (١٢) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة (١١٠): ١١٣
- (١٣) ينظر: الامثل: الشيرازي: ٤٣٣ / ٧
- (١٤) ينظر: التفسير الكبير: ٥٢ / ١٩
- (١٥) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٤١/٦
- (١٦) التفسير الكبير: ٥٢ / ١٩
- (١٧) الدر المنثور: السيوطي: ٦٦١/٤
- (١٨) ينظر: الجامع لإحكام القرآن: القرطبي: ٣٢٩ / ٩
- (١٩) صحيح البخاري: البخاري: كتاب الأدب، باب من بسط له الرزق بصلة الرحم رقم الحديث (٥٩٨٥): ٥/٨
- (٢٠) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٤٦٩/٤-٤٧٠
- (٢١) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٧٠
- (٢٢) أوائل المقالات: المفيد: ٨٠
- (٢٣) موسوعة تراث السيد المرتضى في علم الكلام: المرتضى: ٤١٨/١ ، الشافي في الإمامة: المرتضى: ٨٧/١
- (٢٤) العدة في اصول الفقه: الشيخ الطوسي: ٤٩٥ / ٢
- (٢٥) أصل الشيعة وأصولها: الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء: ٣١٤ / ٣١٥
- (٢٦) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٧٠ ، بحار الانوار: المجلسي: كتاب التوحيد ابواب الصفات الباب (٣) رقم الحديث (٣٠): ١١١/٤
- (٢٧) الاعتقادات: الصدوق: ٩٢
- (٢٨) البيان: السيد الخوئي: ٣٩٣
- (٢٩) ينظر: المسائل الخمسون: الرازي: ٤٩ ، المباحث المشرقية: الرازي: ٤٦٨-٤٧٦
- (٣٠) ينظر: النكت الاعتقادية: المفيد: ١٧
- (٣١) التفسير الكبير: ١٤٦ / ٢
- (٣٢) المصدر نفسه: ٢٠ / ١٤
- (٣٣) المصدر نفسه: ٣٦ / ٣٠ ، ١٧ / ٣١
- (٣٤) ينظر: الإقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: الطوسي: ٥٤، معراج اليقين: فخر المحققين محمد بن الحسن الحلبي: ١٧١ ، معارج الفهم: العلامة الحلبي: ٢٣٣
- (٣٥) أوائل المقالات: الشيخ المفيد: ٥٤
- (٣٦) إرشاد الطالبين: السيوري: ١٩٧
- (٣٧) التوحيد: الصدوق ، باب العلم رقم الحديث (١١): ١٣٧

- (٣٨) التوحيد: الصدوق، باب العلم رقم الحديث(٩): ١٣٧
- (٣٩) ينظر : الفصول المهمة :الحر العاملي: ١ / ٢١٠ - ٢٢٦
- (٤٠) التفسير الكبير: ٥٣/١٩
- (٤١) ينظر :البحر المحيط: ابو حيان :٦/ ٣٩٩ ، روح المعاني :الالوسي :٧/ ١٦٢
- (٤٢) هشام ابن الحكم الشيباني الكوفي يكنى بأبي محمد وأبي الحكم من أصحاب الامامين الصادق والكاظم (عليهما السلام) كان تقياً عالماً متكلماً ولد بالكوفة ونشأ بواسط وسكن بغداد كان في بدايته جهماً ثم استبصر على يد الامام الصادق (عليه السلام) ثم أصبح من أصحابه حتى قل نظيره له مصنفات كثيرة اشتهر منها سنه وعشرون كتاباً في الأصول والفروع والفلسفة العقلية والامامة والرد على الغلاة والخوارج والقدرية وكان مضطهداً من قبل الحكومة العباسية توفي (٥١٩٩هـ)
- ينظر : رجال ابن داود : ١ / ٣٦٧ ، رجال النجاشي : ١ / ١٣٦ : رجال الطوسي : ١ / ١٧٤ ، معالم العلماء: ابن شهر آشوب : ٩٣/١
- (٤٣) ينظر : الفرق بين الفرق: البغدادي : ٤٨
- (٤٤) التفسير الكبير: ٤٢/٢
- (٤٥) المصدر نفسه: ١٥٦ / ١٥
- (٤٦) المصدر نفسه : ٦٨ / ٢١
- (٤٧) المصدر نفسه : ٣٢ / ٤
- ٤٨ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمران العكبري الملقب بالمفيد من أجلاء مشايخ الشيعة، ولد سنة ٣٣٦هـ، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، نال شرف مكاتبة المنتظر (عج)، وقد أثرى المكتبة الإسلامية ما يقارب من مئتي مصنف، ودفن بالقرب من الإمامين الكاظمين(ع)،(ينظر: تاريخ بغداد: البغدادي: ٣/ ٢٣١، سير أعلام النبلاء: الذهبي: ١٧/ ٤٥٢، لسان الميزان: ابن حجر، رجال النجاشي: النجاشي: ١/ ٢٨٥) (٤٩)
- (٤٩) أوائل المقالات: الشيخ المفيد: ٥٥-٥٤
- ٥٠ السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٠هـ، درس على كبار العلماء في النجف، والكاظمية، وسامراء، وبرز تلميذاً وأستاذاً، له مناظرات ومؤلفات كثيرة، توفي في ١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٧٧هـ، شيع في بيروت ودفن بالنجف الأشرف، من ابرز آثاره المراجعات، الفصول المهمة، فلسفة الميثاق والولاية، النص والإجتihad (ينظر: فلسفة الميثاق والولاية: شرف الدين الموسوي: ١٢-١٥)
- (٥١) المراجعات : السيد عبد الحسين شرف الدين : ٣١٢
- (٥٢) الشافي في الامامة: الشريف المرتضى : ٨٥
- (٥٣) المصدر نفسه: ٨٥